

التماسك النحوي أشكاله والبياته "دراسة تطبيقية لنماذج من شعر محمد العيد آل خليفة"

أ/ العيد علاوي المركز الجامعي الطارف

ملخص الدراسة:

أمّ الباحث من خلال هذه الدراسة، إظهار الأدب الجزائري، أو بالأحرى النص الإبداعي الجزائري، وإعادة قراءته وفق المناهج الحديثة، وكذا إبرازه للناشئة الجاهلة أو الزاهدة في تراثها؛ من خلال إظهار علم من أعلام الجزائر، حَلَف تراثا أدبيا متينا ضاهى به عمالقة الشعر في المشرق.

وقد خلصت الدراسة إلى أن النصية ماثلة في النماذج الشعرية المطبق عليها، علاوة على هذا انتهت إلى أن النص الشعري لمحمد العيد آل خليفة يتميز ببناء لغوي محكم وطرح فكري عميق من شأنه أن يسهم في إرساء الهوية، وهو أهل كذلك بأن يعتمد في تدريس اللغة العربية، ولعل النتائج المتوصل إليها تؤكد أن من أطلق لقب "شاعر الشباب والحكمة" على محمد آل خليفة لم يخطئ.

مقدمة:

لا مناص أن كل أمة تفتخر بأدبها وأعلامها، فلا تاريخ لمن لا أدب ولا أعلام له، فالأدب شعرا كان أو نثرا هو المرآة التي تصور أفراس الأمة وأحزائها وتصف مآثرها، أما الأعلام فهم الذين يجلدون المآثر ويزودون عن الحياض ويجرسون الممتلكات والمقدسات.

وقد أطلقت دعاوى من هنا وهناك، والدعاوى إن لم يقيموا عليها بينات أصحابها أدعاء، فهناك من قال بعدم وجود أدب جزائري، وهناك من ذهب إلى أن النص الجزائري لا يرقى إلى الإبداعية والشعرية وهلم جرا. ومهما يكن فلئن أعجب المبدع الجزائري- في وقت مضى- بأخيه المشرقي فإعجابه كان إعجاب منتج لا إعجاب متفرج؛ فقد أبدع نصوصا أدبية ذات بناء محكم ومضمون عميق تصور الواقع وتخدم الوطن، وما محمد العبد آل خليفة إلا واحد من فرسان القلم الذاتيين عن الأرض واللسان والمبادئ والقيم.

أولا: مهاد: (من نحو الجملة إلى نحو النص):

لا مناص أن النصوص في القديم لم يختص بدراستها علم مستقل؛ بل كانت تدرس ضمن الدراسات البلاغية والنحوية بحجة أن النص ما هو إلا جملة أو مجموعة من الجمل متتالية وأن الجملة هي المكون الأساس للنص، وبهذا ظل الاهتمام بالجملة ردحا من الزمن باعتبارها أكبر وحدة قابلة للوصف النحوي أو التحليل اللساني⁽¹⁾ إلى أن ظهرت مؤشرات علم جديد يدرس النص ككيان موحد، وذلك عندما دعا زليغ هاريس Z.Harris إلى الانتقال من تحليل الجملة إلى تحليل الخطاب المترابط Connected سواء في حالة النطق Speech أو الكتابة Writing كما دعا هاريس في هذا الكتاب إلى تجاوز مشكلتين وقعت فيهما الدراسات اللغوية الوصفية والسلوكية وهما:

1- قصر الدراسة على الجمل والعلاقات فيما بين أجزاء الجملة الواحدة.

2- الفصل بين اللغة Language والموقف الاجتماعي Social Situation

مما يحول دون الفهم الصحيح.⁽²⁾

ومن هنا بدأ بعض اللسانيين ينتبهون إلى المشكلتين اللتين أثارهما هاريس وإلى أهمية تجاوز الدراسة اللغوية مستوى الجملة إلى مستوى النص، والربط بين اللغة والموقف الاجتماعي مشكلين بذلك اتجاها لسانيا جديدا أخذت ملامحه ومناهجه وإجراءاته في

التبلور منذ منتصف الستينات تقريبا،⁽³⁾ هذا الاتجاه أو العلم الذي عرف بمسميات عدة منها: لسانيات النص Text Linguistics واللسانيات النصية Textual Linguistics ونحو النص Text Grammar وعلوم قواعد النص، أو علم النص أو علم اللغة النصية.

ثانيا: التعريف بنحو النص ونحو الجملة:

قبل تعريف نحو النص من الأهمية بمكان التعريف بالجملة والنص وبنحو الجملة من دون إيغال أو توسع حتى يتضح مفهوم نحو النص أكثر.

أ- الجملة والنص:

لا يخفى على ذي بال أن الجملة في النحو العربي القديم تداخلت مع الكلام إلى أن انفصل كل منهما عن الآخر على يد العلامة جمال الدين ابن هشام الأنصاري⁽⁴⁾ والمتتبع لتعريفات الجملة التي لا يتسع المقام لذكرها يقف على التباين الواضح بين الاتجاهات التي عرفتها، فمنها من ارتكز على منطلق دلالي محض، وبعضها ارتكز على منطلق شكلي محض، وفريق ثالث مزج بين الدلالة والشكل،⁽⁵⁾ ومن هنا ولتحديد مفهوم الجملة يمكن تقسيم الجملة إلى نوعين:⁽⁶⁾

1- الجملة النظام

2- الجملة النصية

فالجملة النظام؛ هي شكل الجملة المجرد الذي يتولد عنه جميع أشكال الجمل وهذا ما اتكأ عليه النحاة التوليديون التحويليون، والمتأمل لهذا التناول يجده يعطي الجملة معنى استقلاليا بعيدا عن السياق، وهذا النوع يدخل تحت نطاق نحو الجملة. أما الجملة النصية والتي تدخل تحت نطاق نحو النص، وهي جملة تتسم بالتواصل مع جملة أخرى؛ حيث يحتويها نص، أو هي المنجزة فعلا في مقام ولها مدلولها داخل السياق نتيجة ملابسات لا يمكن حصرها يترتب على هذه الملابسات الفهم والإفهام، وهذا النوع من الجمل لا يفهم إلا بإدماجه في نظام الجمل، فيعطي دلالته من خلال الاتساق والانسجام.

ومن يمعن النظر في تعريف الجملة النصية يجد أنها ائتلاف جملة وتواصلها مع جملة أخرى؛ ليضمهما نص. فما النص يا ترى؟

ب-النص:

لم يكن النص أسعد حظ من الجملة، فهو الآخر تعددت تعريفاته وتنوعت؛ بل وتداخلت إلى حد الغموض أحيانا أو التعقيد أحيانا أخرى، فبعض هذه التعريفات اعتمد على مكونات النص الجمالية وتتابعهما، وبعضها أضاف إلى تلك الجمل الترابط، وفريق ثالث اعتمد على التواصل النصي أو السياق، وبعض آخر اعتمد على الإنتاجية الأدبية أو فعل الكتابة وفريق خامس اعتمد على جملة المقاربات المختلفة والمواصفات التي تجعل الملفوظ نصا.⁽⁷⁾

وحتى لا نبقى حبيسي هذا الجدل سنركز هنا على التعاريف التي اعتمدت الترابط أساسا للنص حتى لا نعيد على موضوع هذه الدراسة - التماسك النحوي - فقد ذهب بعض الدارسين أن النص من اللاتينية Textus والتي تعني (النسيج) أو أسياج مضفرة.⁽⁸⁾

وانطلاقا من هذا ذهب كل من برنكر Bynker وإيزنبرج isenberg وشتاينتز steinitz وغيرهم إلى أن النص "تتابع وترابط من الجمل"⁽⁹⁾، وهو في رأي هاليداي Halliday ترابط مستمر يوافق فيه محور الاستبدال paradigmatic محور المجاورة بحيث يتجلى فيه الترابط على أشده⁽¹⁰⁾، وإلى مثل هذا ذهب برنكر Bynker فعرفه بقوله "هو تتابع متماسك من علامات لغوية أو مركبات من علامات لغوية لا تدخل تحت أية وحدة لغوية أخرى أشمل، فالنص بنية كبرى تحتوي على وحدات صغرى متماسكة..."⁽¹¹⁾ وعرفه فاينرش بقوله هو "وحدة كلية مترابطة الأجزاء، فالجمل يتبع بعضها بعضا وفقا لنظام شديد بحيث تسهم كل جملة في فهم الجملة التي تليها فهما معقولا كما تسهم الجملة التالية من ناحية أخرى في فهم الجمل السابقة عليها فهما أفضل"⁽¹²⁾ وحدده أيضا بقوله "هو تكوين حتمي يحدد بعضه بعضا؛ إذ تستلزم عناصره بعضها بعضا لفهم الكل"⁽¹³⁾، وعرفه بعضهم بأنه نسيج من الكلمات يترابط بعضه

ببعض كالحبوط التي تجمع عناصر الشيء المتباعدة في كيان كلي متماسك⁽¹⁴⁾، ومن جملة هذه التعاريف نخلص إلى أن القاسم المشترك بينها هو الربط، فالربط هو السمة الأساسية للنص، وبناء على هذا نخلص إلى أن السمة النصية (جودة السبك) هي تتابع أفقي متماسك لوحدات لغوية مترابطة بشكل متتابع بناء على أسس محددة.⁽¹⁵⁾

ج- نحو النص:

سبق وأن أشرنا إلى أن هذا العلم أطلقت عليه تسميات عدة منها لسانيات النص وعلم اللغة النصي...، إلا أن نحو النص أكثر الأسماء اقتراباً إلى تحقيق الهدف وتوضيح صور التماسك والترابط النصي.⁽¹⁶⁾ وانطلاقاً مما تقدم فنحو النص نحو يتخذ النص كله وحدة للتحليل وليست الجملة كما كانت الحال في الأنحاء السابقة عليه والتي عرفت بنحو الجملة sentence grammar⁽¹⁷⁾.

د- الفرق بين نحو الجملة وبين نحو النص:

بعد التعريف بنحو الجملة ونحو النص حري بنا أن نبرز الفرق بينهما؛ إذ من خلال قراءتنا لكتب عديدة وصلنا إلى أبرز نقاط الاختلاف التي تميز بينهما وهي كالآتي: (18)

1- نحو الجملة هو صورة من صور التحليل النحوي يقف على معالجته عند حدود الجملة، ويرى أن الجملة هي الوحدة اللغوية الكبرى التي ينبغي أن يقعد لها دون أن يتجاوزها في حين علم النص أو نحو النص غايته القصوى فهم أوجه الترابط النحوي المتجاوزة للجملة الواحدة على سلسلة طويلة أو قصيرة من الجمل تؤلف نصاً محددًا مؤمناً بضرورة وجود روابط توفر للنص تماسكه الشكلي والمعنوي.

2- كما أن التحليل في نحو الجملة يبعد الجمل ويعزلها عن سياقها اللغوي في النص أو الخطاب، وبعبارة أخرى فنحو الجملة يتصف باستقلال النحو عن المواقف اللغوية، بيد أن علم قواعد النص أو نحو النص ينظر إلى المسألة في إطار شمولي وتصور كلي يراعي السياق الداخلي والخارجي مثلما يراعي المؤلف ودوره والمتلقي ودوره وآليات الفهم والاستيعاب والتذكر والاسترجاع وإعادة البناء والتفسير وبعض تلك الخواص مرتبطة بالأبنية النحوية والدلالات والأسلوب، وبعضها بالفرد من حيث هو منتج للكلام أو الجماعة من حيث هي متلقية لذلك الكلام.

3- نحو الجملة يخضع كل الجمل المركبة لمجموعة ثابتة من التراكيب البسيطة. بمعنى أنه يؤمن باستقلالية الجملة، فهو تحليل لا تركيب؛ بينما عد نحو النص نمطا من التحليل يمتد تأثيره إلى ما وراء الجملة، فيسعى لتوضيح علاقة الجملة بالأخرى في إطار وحدة أكبر قد تكون فقرة أو عددا من الجمل محدودا.

4- من مبادئ نحو الجملة "الاطراد"؛ وهو ثبات القاعدة في الحكم على الفصحى وما خرج عنها عد شاذا، غير أن نحو النص ينأى عن الاطراد؛ لأنه يعترف بالمؤشرات الأسلوبية وهي تصرفات فردية يلجأ منشئ النص ليدل على لفتات ذهنية أو ليثير بها انتباه المتلقي.

5- من مبادئ نحو الجملة "المعيارية"، فالقاعدة في نحو الجملة هي أساس الصحة أو الخطأ، فالمعيارية إذن سابقة على النص، ولهذا فنحو الجملة لا يؤمن بنص إلا إذا كان موافقا ومتطابقا مع القواعد التي تم استنباطها، أما نحو النص فهو أبعد عن المعيارية؛ لأنه نحو تطبيقي غير نظري فلا ينشأ إلا بعد أن يكتمل النص وبعد أن يكون حاضرا ومعرضا لتطبيق النحو عليه مستخرجا من مادته، ولهذا ذهب نحاة النص إلى أن المعيار يكون دائما من داخل النص لا من خارجه، وبعبارة أخرى فنحو النص لا يتحرى السلامة النحوية كما هي غاية نحو الجملة، وذلك لأن معيار النص مختلف عن معيار الجملة الواحدة، فالنص معياره التفاعل الداخلي والتماسك والإفصاح عن المحتوى. ويتعبير آخر إذا كانت الجملة وحدة نحوية، فإن النص ليس وحدة نحوية أوسع أو مجرد مجموع جمل أو جملة كبرى، وإنما هو وحدة من نوع مختلف، فهو وحدة دلالية لها معنى في سياق تتحقق وتتجسد هذه الوحدة في شكل جمل.

6- من أساسيات نحو الجملة "الإطلاق" ومعناه إطلاق القاعدة لتصدق على كل ما قيل أو سيقال، فهي الحكم الذي يرد إليه كل كلام في نحو الجملة، أما نحو النص فلا يطبق على كلام قبل صياغته أو أثناءها، ومن هنا يكون الحكم دائما في النص بعد إنتاجه وفي حالة التواصل الفعلي.

7- من مبادئ نحو الجملة "الاقتصار"؛ إذ يبحث كما تقدم في علاقات حدود الجملة الواحدة دون تجاوزها إلا عند إرادة معنى الإضراب أو الاستدراك أو غير ذلك من

الدلالات التي يمكن أن تربط بين جملتين مثل التعليل والشرط أو ما شابه ذلك، في حين نحو النص وكما يتضح من تسميته، فميدانه النص كاملاً دون تجزئته. ومن هنا كانت أهم ملامحه دراسة العلاقات بين أجزاء النص كاملاً.

هـ- نحو الجملة ونحو النص وعلاقة الارتباط بينهما:

قد يفهم القارئ والمتأمل للفروق التي تم تعدادها سلفاً أن نحو النص يغض الطرف عن النحو التقليدي (نحو الجملة لا علاقة له بنحو النص)؛ إلا أنه على الرغم من أن نحو النص لا يعترف باستقلال الجملة داخل النص، إلا أنه لا يفتأ ينتفع بما قيل عنها في النحو التقليدي، وبهذا يتضح أن نحو النص لا يتنكب الطريق التي مهدها وعبدها المتقدمون لكنه ينتفع من علوم أخرى كالإبلاغة واللسانيات... (19).

ولعل ما يبرز هذه العلاقة الموجودة بين النص والجملة تعريفنا السابق للنص بأنه وحدة من نوع مختلف، فهو وحدة دلالية لها معنى في سياق، بحيث تتجسد هذه الوحدة وتحقق في شكل جمل (20)، ومعنى هذا أن نحو الجملة الذي يرمز إليه بالحرفين S-G جزء من نحو النص الذي يرمز له بالحرفين T.G وهذا يعني أيضاً أن نحو النص يكتشف نحو الجملة؛ لأن الأخير أشبه بمجموعة من القرائن والمعطيات يستخدمها نحو النص للكشف عن البنية الكلية التي تتعدى الجملة الكبرى التي تتعدى الجملة الواحدة (21)، كما تتجلى هذه العلاقة في اعتراف الكثير من علماء نحو النص الذين وجهوا نقداً لنحو الجملة لعدم كفاية على وصف ظواهر تتجاوز حدود الجملة، ومن أولئك فان دايك الذي بين هذه العلاقة بين النحويين بقوله: "غير أن ذلك لا يعني رفض مقولات نحو الجملة أو التقليل من قيمتها أو التشكيك في صحتها... (22)، وإلى جانب هذا علق الدكتور سعيد بحيري على رؤية فاينرش قائلاً: "وهو كما ترى لا يرفض مستوى الجملة؛ بل على العكس من ذلك يؤكد أنه نقطة البداية في التحليل... (23)".

وجملة الأمر يمكن القول: إن نحو النص أصبح ضرورياً لتحقيق هدفه (24) ذلك لأن نحو الجملة كما ذهب فان دايك يشكل جزءاً غير قليل من نحو النص، وبذلك تكون قواعد نحو الجملة هي القواعد المؤسسة لنحو النص (25).

ثالثا: التماسك النصي، تعريفه، أشكاله، آلياته:

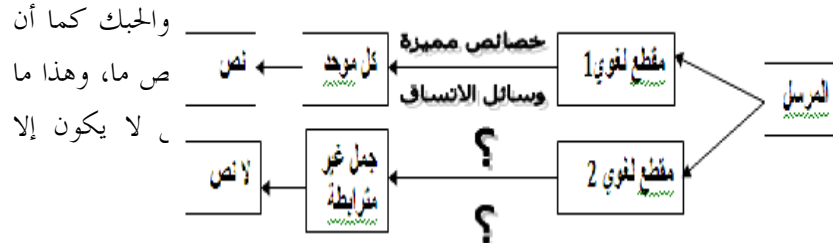
قبل أن نتعرف على المقصود بالتماسك لا بأس أن نشير من باب المنهجية إلى الصفات التي يشترك فيها كل من نحو الجملة ونحو النص؛ لأن هذا يقودنا إلى إدراك ماهية التماسك النصي وإلى التعرف على أشكال (نوعي) التماسك.

ذهب بعض العلماء إلى أن النحويين؛ نحو الجملة ونحو النص يشتركان في معيارين (من المعايير النصية السبعة) ألا وهما: السبك والحبيك؛ وهما شكلا (نوعا) التماسك النصي.

1- فالسبك أو الربط أو التضام Cohesion والذي قسمه بعض الدارسين إلى نوعين: سبك معجمي وسبك نحوي⁽²⁶⁾، وأطلق عليه بعضهم الترابط الرصفي وهو معيار يهتم بظاهر النص ودراسة الوسائل التي تتحقق بها خاصية الاستمرار اللفظي؛ أي إن هذا الربط يترتب على إجراءات تبدو بها العناصر السطحية على صورة وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق، والمقصود بظاهر النص تلك الأحداث اللغوية التي تنطق بها أو نسمعها في تعاقبها الزمني والتي نخطها أو نراها، وهذه الأحداث أو المكونات ينتظم بعضها مع بعض تبعا للمباني النحوية ولكنها لا تشكل نصا؛ إلا إذا تحقق من وسائل السبك ما يجعل النص محتفظا بكيئوته واستمراريته⁽²⁷⁾، وبإيجاز فالسبك أو الترابط الرصفي أقرب إلى ظاهر النص ومرتبطة بالدلالة النحوية.

2- أما الحبيك أو الانسجام أو الاتساق أو التقارن... الخ Coherence، فيعني برصد وسائل الاستمرار الدلالي في عالم النص أو العمل على إيجاد الترابط المفهومي⁽²⁸⁾؛ أي إن الترابط المفهومي (الحبيك) هو أقرب إلى تلك الروابط التضمنية، ويتصل هذا النوع بالنحو الدلالي الذي يهتم بكيفية ارتباط مفاهيم مثل فاعل وحدث وحالة وصفة من أجل إيجاد معنى كلي للنص⁽²⁹⁾، وسبقت الإشارة إلى أن هناك من يسميه بالتقارن (الاقتران) الذي ينشأ عن طريق الروابط المعنوية التي يستخلصها المتلقي من الخطاب عن طريق التخزين والاسترجاع، وهو الذي يجعل من المعاني الجزئية التي يتضمنها ذلك النص حلقات متداخلة تظهر معا وتساعد القارئ أو المتلقي بصفة عامة على استيعاب المحتوى وإدراك ما فيه من وحدة، ومن أدوات الاقتران السببية causality والزمنية الظرفية condition والخاتمية Finolity والفصل contrast⁽³⁰⁾.

ومن هذا المنطلق فالتماسك له شكلان هما: السبك والحبك؛ فالأول يرتبط باللفظ



ومن هنا يكون الترابط أو التماسك النصي هو وجود علاقة بين أجزاء أو جمل النص أو فقراته؛ لفظية أو معنوية وكلاهما يؤدي دورا تفسيريا؛ لأن هذه العلاقة مفيدة في تفسير النص⁽³³⁾، كما أكد صلاح فضل على أن التماسك هو خاصية نحوية للخطاب تعتمد على علاقة كل جملة منه بالأخرى، وهو ينشأ غالبا عن طريق الأدوات التي تظهر في النص مباشرة كأحرف العطف والوصل والترقيم وأسماء الإشارة وأداة التعريف والاسم الموصول وغيره...⁽³⁴⁾.

ومن خلال هذين المفهومين ندرك أن التماسك هو التحام ظاهر النص مع باطنه وبعبارة أخرى التحام شكله مع مضمونه، كما أن المفهوم الثاني عدّد بعض آليات التماسك -والتي سنعرض لها لاحقا- والمتمثلة في العطف، الوصل، أسماء الإشارة أداة التعريف... الخ

وصفوة القول: فالتماسك النصي هو علاقة معنوية بين عنصر في النص وعنصر آخر يكون ضروريا لتفسير النص الذي يحمل مجموعة من الحقائق المتوالية فإذا كانت الجملة تشير إلى حقيقة بمجموعة من الكلمات فإن توالي الجمل سوف يشير إلى مجموعة من الحقائق وعلى نحو النص أن يكشف عن العلاقة المعنوية بين مجموع هذه الحقائق هذه العلاقة المعنوية تأتي غالبا عن طريق الأدوات في ظاهر النص.⁽³⁵⁾

رابعا: آليات التماسك النحوي (النصي):

من خلال تعريف صلاح فضل للتماسك النصي، ومن خلال جهود العلماء والدارسين قديما وحديثا يمكننا أن نحصر آليات (وسائل) التماسك النصي أو النحوي في ما يلي: (36)

وفي هذا المقام سنعرف نظريا ببعض هذه الآليات، ونرجئ كل من الإحالة والتكرار؛ لنأخذ منهما مجالا للتطبيق على القصائد؛ لأن المقام لا يتسع لاستوعاب كل هذه الآليات في مجال التطبيق.

أ- **الربط بالتعريف:** لم يفيت علماء الدرس البلاغي العربي ما لأداة التعريف من دور في إحداث الترابط، فقد ذهب عبد القاهر الجرجاني إلى أن لام التعريف أداة تتجاوز ما يراه النحاة من أنها تحول النكرة إلى معرفة، فهي تتعدى ذلك إلى الربط بين الجمل ربطا يشبه ربط الإحالة بالضمير من حيث إنها تذكر السامع أو القارئ بشيء سبق ذكره أو شيء معروف في الذهن جرى الكلام عليه أو الإشارة له في السياق (37)، ومعنى هذا أن أداة التعريف وفق هذه الفكرة تشير إلى ما يسمى بالمعلومات السابقة؛ بينما تؤدي أداة التنكير وظيفية الإشارة إلى معلومات لاحقة؛ أي إلى وحدات لغوية لم يوضحها المتكلم بعد. ولتوضيح ذلك أكثر رجع بعض الدارسين إلى الأمثلة المشهورة من نصوص الخرافات (38).

* كان في قديم الزمان فتاة ————— إشارة إلى معلومات لاحقة (يتوقع السامع أن يجبر بعد قليل عن هذه الفتاة).

* كانت الفتاة جميلة ومتواضعة ————— إشارة إلى معلومات سابقة (يجب أن يكون الاسم المطابق قد ذكر من قبل في الجملة السابقة).

ب- **التقديم والتأخير:** عد تغير الرتبة عند عبد القاهر الجرجاني أحد عوامل الربط فإذا قدم الشاعر أو الناثر المتكلم الظرف ثم أحر العامل فيه وهو الفعل، فذلك يجعل من الكلام المتقدم والمتأخر قطعة متماسكة من القول تقوم على الإفادة من ذاكرة المتلقي الذي يجتزن ثم يسترجع رابطا بين المعمول وهو الظرف والعامل فيه وهو الفعل. (39)

ج- **أحرف العطف:** هي الأخرى من أدوات التماسك النحوي؛ بحيث يكون الربط بالواو وغيرها باختلاف المعاني والدلالات والنسق (...)، فأدوات الوصل عند عبد القاهر

الجرجاني هي الروابط التي لا غنى عنها في وصل الجمل بعضها ببعض، وقد فرق بين الواو وهي أشهر أحرف العطف، والفاء توجب فضلا عن الإشراف في الحكم الترتيب، وثم توجب الترتيب مع التراخي و "أو" تفيد التخيير، ولكن وبل وكل منهما يفيد الاستدراك والإضراب... (40).

د-الحذف: عد الحذف هو الآخر طريقة في الربط أفضل من الاعتماد على الذكر قال فيه عبد القاهر الجرجاني " الحذف باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر شبيه بالسحر، فإنك ترى فيه ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة أزيد من الإفادة (41)، ولهذا أجازت العربية كغيرها من اللغات حذف أحد العناصر من التركيب عند استخدامها، وذلك لا يتم إلا إذا كان الباقي في بناء الجملة بعد الحذف مغنيا في الدلالة كافيًا في أداء المعنى، وقد يحذف أحد العناصر؛ لأن هناك قرائن معنوية أو مقالية تومئ إليه وتدل عليه ويكون في حذفه معنى لا يوجد في ذكره (42)، والحذف باعتباره وسيلة من وسائل التماسك لا يختلف دلالة عن الاستبدال، فهما متشابهان جدا، إلا أن الحذف لا أثر له إلا الدلالة فلا يحل شيء محل المحذوف، أما الاستبدال فيتترك أثرا يستترشد به المتلقي.

هـ- الاستبدال: هو صورة من صور التماسك النصي يتم في المستوى النحوي المعجمي بين كلمات وعبارات (...). وهو عملية تتم داخل النص بتعويض عنصر في النص بعنصر آخر، (43) والفرق بين الاستبدال والإحالة هو أن الإحالة تحيل إلى شيء غير لغوي في أوقيات معينة في حين الاستبدال يكون بوضع لفظ مكان آخر لزيادة الصلة بين هذا اللفظ واللفظ الذي يجاوره (44).

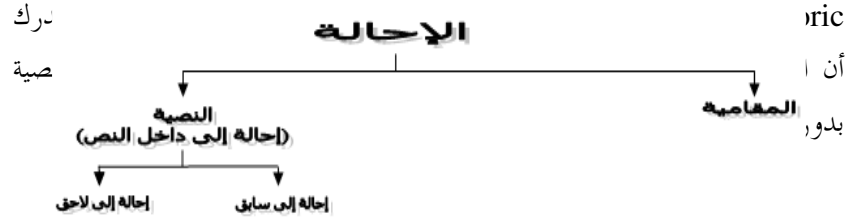
و- التضام: وهو وسيلة من وسائل من وسائل التماسك النصي المعجمي وذلك بأن يتوارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظرا لارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك وقد ذكرت كتب اللغة العلاقات الحاكمة للنظام ومنها نذكر (45): التضاد، التنافر، علاقة الجزء بالكل... الخ

ز-الربط بالموصول: لا شك أن الاسم الموصول من الأدوات التي تشد أزر التلاحم النحوي بين ما تقدم ذكره والعلم به وما يراد من المتكلم أن يعلم به أو يضمه إلى ما سبق من العلم به. (46)

خامسا: الإحالة: (دور الضمير في إحداث التماسك النصي في قصيدة أين ليلاي محمد العيد آل خليفة):

تعد الإحالة أحد الآليات التي تحدث التماسك النصي، إذ يحدث التماسك باستخدام الضمائر بدل الأسماء الظاهرة التي يكون ذكرها قد تقدم في بداية النص أو بداية الفقرة وهي إما أن تكون إحالة قبلية أو تبعية (بعدية). (47)

ومعنى هذا أن الضمائر تنوب عن الأسماء فيحل ضمير محل كلمة، فيربط بين أجزاء النص المختلفة شكلا ودلالة Endophoric وخارجيا Exophoric وسابقة



ومن خلال ما تقدم فالضمير قد يرجع (يعود) إلى شيء مذكور في النص صراحة قد يكون هذا المذكور سابقا أو لاحقا، كما يرجع (يحيل) على شيء غير مذكور في النص وهنا تكون الإحالة خارجية تعتمد على السياق (50)، فالضمير اسم ناقص يفتقر إلى اسم تام يفسره وبهذا يعود على الاسم الذي يطابقه لما له من الخصائص الدلالية وإذا كان الضمير من حيث الصورة الصوتية غير الاسم الظاهر، فإنهما دلاليا عنصر واحد. (51)

ومن هذا المنطلق ذهب بعض الدارسين إلى أن النصوص سلاسل من التحويلات الضمائية، ومعنى هذا أن الإضمار شرط من الشروط النحوية التركيبية الأساسية لتماسك النص، فالربط بين الجمل لا يتحقق بوسائل لغوية مختلفة (كالأسماء والأفعال)

التي تقوم بوظيفة (العائد إليه) يحال إليها في الجمل التالية بعلامات لغوية مطابقة لها في الإحالة مثل الضمائر، فهذا الاستبدال (الإضمار) يكفل اتساق سياق النص⁽⁵²⁾.
ويجب أن لا يفهم أن الضمائر هنا تقتصر على ضمائر المتكلم والمخاطب والغائب فحسب؛ بل تتعداه إلى ضمائر الإشارة وأسماء الموصول، فأسماء الإشارة والموصولات تقوم بوظيفة الضمائر من حيث الإشارة المرجعية والربط، فالإشارة قد تكون إلى سابق أو لاحق أو خارج النص.

وإليك الجدول الذي يوجز هذه الأداة التماسكية - الضمير في قصيدة: أين ليلاي؟.

أ-الضمير في قصيدة أين ليلاي:

نوع الإحالة	العنصر المفترض المحال إليه	المثال	أداة التماسك
قبلية + داخلية + بعضها قريب وبعضها بعيد	ليلي (ليلاي) التي ترمز إلى الحرية	أينها (هي) بينها دينها نارها حينها سرها زينها بينها بينها حكيتها مينها فدينها علقنها بكيتها	الهاء و(هي)

		نقبتها حونها أونها قضت (هي) أصلت (هي) أذاقت (هي) روعت (هي) في تصل (هي)	
قبلية+داخلية+قريبة	القلب	أصلت القلب نارها وأذاقته (هو)	الهاء (هو)
	الشاعر	ليلاي (أنا) مكررة 4 مرات بيتي (أنا) تعرفت (أنا) تعشقت (أنا) روعتني (أنا) تعلقت (أنا) تعللت (أنا) تبينت (أنا) تساءلت (أنا) سالكا (أنا) يجبني (أنا) عيني (أنا)	الياء (أنا) المتكلم وتاء الفاعل

اللواتي	بالطيوف اللواتي	الطيوف	قبلية + داخلية + قرينة
من الموصولة	هل قضت دين من قضي؟	لم يذكر قاضي الدين	خارجية

جدول يوضح الضمير وما يحيل عليه في قصيدة أين ليلاي من خلال الجدول نخلص إلى أن الضمير علامة على الاسم المتروك إظهاره بيانا واختصارا ويلزمه أن يكون مطابقا للاسم الموعود إليه (53). فالضمير (ها) عاد على (هي) المضمرة التي تعود على ليلى كما يتجلى أن الضمير باعتبار أصلي الإفادة والخفة أقوى من الاسم الظاهر (54)، يضاف إلى هذا أن الضمير المتصل إضافة إلى التماسك الذي يحدثه يحصل به رفع الالتباس والاختصار. والظاهر كذلك من خلال الجدول أن الضمير المتصل أكثر وأسير في الاستعمال من المنفصل.

سادسا: التكرار: (دور التكرار في إحداث التماسك النصي في قصيدة الشعر والأدب): التكرار ظاهرة من ظواهر اللغة العربية ويتحقق على مستويات متعددة كتكرار الحروف والكلمات والجمل والفقرات (55)، وهو ضرب من ضروب الإحالة إلى سابق **Anaphaka**. بمعنى أن الثاني اللفظ المكرر منهما يحيل إلى الأول ومن ثم يحدث السبك بينهما وبالتالي بين الجملة أو الفقرة الوارد فيها الطرف الأول من طرفي التكرار، والجملة أو الفقرة الوارد فيها الطرف الثاني من طرفي التكرار (56)، وهذه الحقيقة إذا ما استعرضنا المعنى اللغوي للتكرار وجدناها ماثلة فيه، فقد ذكر ابن منظور معاني مادة كَرَّرَ فالكر يعني الرجوع... وتكرار: عطف... وكرر الشيء وكرره أعاده مرة بعد أخرى وكررت عليه الحديث... ورددته عليه... والكر الرجوع على الشيء ومنه التكرار والكرة البعث وتحديد الخلق بعد الفناء (57).

فمن خلال هذا نلاحظ أن من معاني التكرار: الرجوع والعطف والبعث، وكل هذه المعاني تدل على التماسك والترابط، ومن هنا فالتكرار هو إعادة لفظ أو عبارة أو جملة

أو فقرة، وذلك باللفظ نفسه أو بالترادف وذلك لتحقيق أغراض كثيرة أهمها تحقيق التماسك النصي بين العناصر المتباعدة⁽⁵⁸⁾.

والتأمل لقصيدة الشعر والأدب يجد أن التكرار مائل فيها، فعبارة الشعر والأدب "تكررت فيها أربع عشرة مرة متفقة بالإضافة إلى استعمالها مرتين مختلفتين، وذلك في قوله:

(ترجو بقائي بلا شعر ولا أدب) فقد كرر الشاعر هذين اللفظتين تأكيداً وتقريراً لأهميتهما عنده، فهما: الحرفة والشغل، والغذاء، والسيف، والعدة (الزاد) والدليل، والملك والعز والمال، والجمال، ونشوة الخلد، والحياة، ونعمة العيش والغرام والروح. فبالتكرار أعاد الشاعر اللفظتين وبعثهما في كل بيت حتى لا تنسى بحيث كل بيت يحيل إلى الذي قبله ويتعلق به، وبهذا التكرار وغيره من الوسائل الأخرى تتحقق التماسك بين أبيات القصيدة.

علاوة على هذا كرر الشاعر لفظة "إلا" ثماني مرات (08) وهو تكرر في ثنايا الجمل مستثنياً حيناً نحو قوله: ولا غداء به أحيا بغير طوى منعم البال إلا الشعر والأدب وحاصراً بها حيناً آخر بالتركيبين الآتيين:

لا + إلا = حصر

ما + إلا = حصر

ومن الأبيات التي جاءت على هذه الشاكلة:

- لا شغل عندي إلا الشعر والأدب

- ما الملك والعز إلا الشعر والأدب

- ما المال ويحك إلا الشعر والأدب

- ما نشوة الخلد إلا الشعر والأدب

- وما حياتي إلا الشعر والأدب

- ما نعمة العيش إلا الشعر والأدب

- وما أنا إلا الشعر والأدب

ومن مزية هذا الاستثناء والحصر المكرر أنهما ظلا يعودان بنا ويربطانا بالمغرم أو بالأحرى بالروح وهما الشعر والأدب، والمنعم للنظر يجد أن تكرار الروح- الشعر والأدب-، وتكرار أداة الحصر كانت لهما نسبة ورود جعلتهما يتميزان عن التكرارات الأخرى، وبهذا يكون قد تحقق الشرط الذي اشترطه الدكتور صلاح فضل في التكرار وهو أن يكون لهذا الملمح- التكرار- نسبة ورود عالية في النص تجعله يتميز عن نظائره وأن يساعدنا رصده -التكرار- على فك شفرات النص وإدراك كيفية أدائه لدلالته (59).

أما عن التكرارات القليلة الورد نذكر تكرار جملة "وقل لمن هام" إذ تكررت بنسبة (03) مرات وذلك في قول الشاعر:

- وقل لمن هام في حب مال له لبد

- وقل لمن هام في حب الجمال

- وقل لمن هام في رشف المدام هوى

فهذه الجمل تربط وتبعث لنا صفات غير محمودة أو محدودة الأجل أو بالأحرى

زائفة

فالمال ← زائل

والجمال ← زائل

ورشف المدام ← قبيح ونشوته زائفة

كما يمكن إدراج تكرار هذه الجمل ضمن التكرار الذي يكون في أول الجمل وهو تكرار مباشر وهناك من أطلق عليها اسم الجمل المتوازية والتي تمثل لها من خلال القصيدة بقول الشاعر:

- وما نشوة الخلد إلا الشعر والأدب.

- ما نعمة العيش إلا الشعر والأدب.

فالبيتان وردا على الهيئة التالية:

أداة النفي + اسم + مضاف إليه + أداة الاستثناء + المستثنى = الحصر

مما سبق يتضح أن نحو النص يهتم بدراسة الروابط والأدوات التي تحدث التماسك النصي للنص، وقد رأينا ما للنموذجين " الضمائر والتكرار " المقتصر عليهما في التطبيق من أثر في ربط أجزاء النص، والضمير بالرغم من كونه لا يطابق الاسم المتروك أو المحال إليه من حيث الناحية الصوتية، إلا أنه يطابقه دلاليا بالإضافة إلى هذا، فالضمير من حيث الخفة والاختصار هو أخف وأخصر من الاسم المعود عليه، كما أن الضمير المتصل هو أسير وأكثر استعمالا من الضمير المنفصل، وهذا ما أفصحت عنه القصيدة.

أما التكرار والذي من معانيه الرجوع والعطف والبعث، وكلها معان تشي بالتماسك والترابط، وعده بعض الدارسين - التكرار - ملمحا أو ظاهرة أسلوبية إذا كانت له نسبة ورود عالية، وهذا ما كشفنا عنه في هذه القصيدة، وقد يكون تكرار حرف أو كلمة أو جملة أو عبارة أو فقرة، وقد يأتي في أول الكلام أو في ثانيا الكلام أو في آخر الجملة، كما نستشف من تكرار الضمير الهاء العائد على ليلي في قصيدة أين ليلاي؟ والتكرار عبارة الشعر والأدب في قصيدة الشعر والأدب التناسق والتناغم والجرس الموسيقي الإيقاعي الذي خلفه هذا التكرار والذي يشد المتلقي من أول وهلة ويمسره ويسطر على شعوره ويحمله على مواصلة قراءة النص.

خاتمة:

صفوة القول: فللقارئ أن يعود إلى تراث الشاعر ليقف بنفسه على الطرح العميق الذي تميز به الرجل، وعلى الرسالة العظيمة التي حملها على عاتقه، كما له أن يلتبس الرصانة والمتانة اللغوية التي انفرد بها أدب محمد العيد آل خليفة، إلا أنه بالرغم من ذلك لم يحظ بالاهتمام اللائق في حياته ولا بعد مماته، فديوانه لم يطبع إلا بعد معاناة، وظلت البرامج الدراسية والتعليمية حبيسة أحمد شوقي وحافظ إبراهيم ومفدى زكريا، ليفوت الشَّاب -تلميذا كان أو طالبا- خير كثير من التراث الزاهر الزاخر لهذا الشاعر.

بيبلوغرافيا:

- 1- بحوث ألسنية عربية، ميشال زكريا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1.
- 2- البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، جميل عبد الحميد، دراسات أدبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط، د ت.
- 3- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي، دراسة تطبيقية على السور المكية.
- 4- في اللسانيات ونحو النص، إبراهيم خليل، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2007.
- 5- لسانيات النص (مدخل إلى إنسجام الخطاب)، محمد خطايب، المركز الثقافي العربي، ط1، 1991.
- 6- مدخل إلى علم لغة النص، فوفجانج هاينه من، ديتير فيهفجر، ترجمة وتعليق وتمهيد سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2004.
- 7- مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ابن هشام، تحقيق محي الدين عبد الحميد، مكتبة صبح.
- 8- مكتبة المعاجم واللغة العربية، مؤسسة العريس، قرص مضغوط. CDROM.
- 9- نحو النص، إتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2001.
- 10- الوسائط اللغوية، أفول اللسانيات الكلية، محمد الأوراعي، دار الأمان، الرباط، ط1، 2001.

الهوامش:

- 1 بحوث ألسنية عربية، ميشال زكريا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، ص. 11
- 2 ينظر البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية. دراسات أدبية. جميل عبد الحميد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط، د ت، ص: 65.
- 3 المرجع نفسه، ص 66.
- 4 ينظر مغني اللبيب، ابن هشام، تحقيق محي الدين عبد الحميد، مكتبة صبح، ج2، 374.

- 5 نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2001، ص.18
- 6 المرجع نفسه، ص.19
- 7 المرجع نفسه، ص.:21
- 8 ينظر: مدخل إلى علم لغة النص، فوفجانج هاينه من، ديتر فيهفيجر، ترجمة وتعليق وتمهيد سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2004، ص:13-14.
- 9 ينظر: نحو النص، أحمد عفيفي، ص.:22
- 10 ينظر: في اللسانيات ونحو النص، إبراهيم خليل، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2007، ص.:217
- 11 ينظر: نحو النص، أحمد عفيفي، ص.:27
- 12 المرجع نفسه، ص:24
- 13 المرجع نفسه، ص.:27
- 14 ينظر: في اللسانيات ونحو النص، إبراهيم خليل، ص.:217
- 15 ينظر: مدخل إلى علم لغة النص، فوفجانج هاينه من، ديتر فيهفيجر، ص.:21
- 16 ينظر: نحو النص، أحمد عفيفي، ص.:31
- 17 ينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، جميل عبد المجيد، ص.:66
- 18 هذه الفروق مستنبطة من قراءتنا لمجموعة من الكتب للتوسع والاستزادة ينظر: نحو النص أحمد عفيفي، من ص:65-74. في اللسانيات ونحو النص، إبراهيم خليل من ص: 214-217. بين البلاغة واللسانيات النصية، جميل عبد المجيد، ص.:66
- 19 ينظر: في اللسانيات ونحو النص: إبراهيم خليل، ص.217
- 20 ينظر: البديع بين البلاغة واللسانيات النصية، جميل عبد المجيد، ص.66
- 21 في اللسانيات ونحو النص، إبراهيم خليل، ص:216.
- 22 ينظر: نحو النص، أحمد عفيفي، ص.:68
- 23 المرجع نفسه، ص:68
- 24 ينظر: المرجع نفسه، ص: 67.

- 25 المرجع نفسه، ص:71
- 26 ينظر: مرجع سابق، جميل عبد المجيد، ص:77
- 27 ينظر: مرجع سابق، أحمد عفيفي، ص:90
- 28 المرجع نفسه، ص:103
- 29 المرجع نفسه، ص:103
- 30 ينظر: في اللسانيات ونحو النص، إبراهيم خليل، ص:219
- 31 المرجع السابق، أحمد عفيفي، ص:90-91
- 32 ينظر: لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، المركز الثقافي العربي، محمد خطابي، ط1، 1991، ص:12
- 33 مرجع سابق، أحمد عفيفي، ص:98
- 34 مرجع سابق، إبراهيم خليل، ص:219
- 35 ينظر: نحو النص، أحمد عفيفي، ص:98-99
- 36 ينظر: في اللسانيات ونحو النص، إبراهيم خليل، ص:222 وما بعدها. المرجع السابق، أحمد عفيفي، ص:93 وما بعدها.
- 37 ينظر: المرجع نفسه، ص:229
- 38 ينظر: مرجع سابق، فوفجانج هاينه من، ديتير فيهفيجر، ص:24
- 39 ينظر: مرجع سابق، إبراهيم خليل، ص:229
- 40 المرجع نفسه، ص:224
- 41 المرجع نفسه، ص:233
- 42 ينظر: مرجع السابق، أحمد عفيفي، ص:124 - 125
- 43 ينظر: المرجع نفسه، ص:122
- 44 مرجع سابق، إبراهيم خليل، ص:194
- 45 مرجع سابق، أحمد عفيفي، ص:112-113
- 46 المرجع السابق، إبراهيم خليل، ص:230
- 47 ينظر: المرجع نفسه، ص:192

- 48 ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، صبحي إبراهيم الفقي، ج1، ص: 137
- 49 ينظر لسانيات النص، محمد خطاي، ص: 17.
- 50 ينظر، علم اللغة النصي، صبحي إبراهيم الفقي، ج1، ص: 141.
- 51 ينظر: الوسائط اللغوية، أفول اللسانيات الكلية، محمد الأوراعي، دار الأمان، الرباط، ط1، 2001، ج1، ص: 233.
- 52 ينظر: ، مرجع سابق، فولفجانج هاينه من ص: 23.
- 53 ينظر: الوسائط اللغوية، أفول اللسانيات الكلية، محمد الأوراعي، ج1، ص: 233.
- 54 ينظر: المرجع السابق، محمد الأوراعي، ص: 233.
- 55 ينظر: مرجع سابق، صبحي إبراهيم الفقي، ص: 17.
- 56 ينظر: مرجع سابق، جميل عبد المجيد، ص: 79.
- 57 ينظر: مكتبة المعاجم واللغة العربية، مؤسسة العريس، قرص مضغوط CDROM.
- 58 ينظر: مرجع سابق، صبحي إبراهيم الفقي، ج2، ص: 20.
- 59 ينظر: مرجع سابق، صبحي إبراهيم الفقي، ج2، ص: 22.